

أسماء صلاح أبو خلف



رواية
محمد عيسى
وفاة نونية

حب بين ذنب وتوبة

أسماء صلاح أبو خلف

تصميم الغلاف /

فاطمة الزهراء إبراهيم

تصميم الداخلي والتعبئة /

أسماء صلاح أبو خلف

سقط جالساً كرجل خسر معركته مع الحياة،
يتآكله الندم، أسند وجهه إلى كفيه وبكى.

أحبها وعشقتة بكل كيائها، فأعلنها امرأته
وجعلته رجلها.

التحما في عناقٍ طويلٍ أذاب بينهما مرارة
الدنيا.

إلا أنها أبت أن تتركهما فلاحقتهما حتى
فرقتهما فأفلتا بعضهما.

حينها أحكمت أغلالها عليهما، فأنستهما الوعد
والقسم؛ أن يكون أولهم وثالثهم وآخرهم الله.

فهدم عشهما وتساقطت أوراقه فلا صلاة
تحميه ولا ذكرٌ يدفئه.

وفي لحظة استسلام لشهوةٍ محرمةٍ خانها
وزنا.

لم يخبرها أحد، لقد رآته بعينيها في فراشها مع
أخرى لا يربطهما شيء سوى شيطان رجيم.

تساقطت دموعها وعلا صوت صراخها، أرادت
قول شيء، أي شيء تعبر عن الألم الذي
اكتنفها والتف حولها كشرنقة تزهقها، لكنها لم
تستطع فأطلقت العنان لدموعها أمامهما.

أفاق من سكرته، ونظر لها بتيه متناسياً التي
رافقته منذ ساعتين، كان قد عرفها عن طريق

الفيس بوك وطلب لقائها ثم اصطحبها إلى
بيته.

اعتدلت ناظرة لها بترفع التقت ملابسها الملقاة
على الأرض بعشوائية، ثم انحنت بجسدها
المشدود تلبس حذاءها ذا الكعب.

ألقت له قبلة في الهواء بيدها وضحكت
لزوجته التي تحجرت الدموع في عينيها
وخرجت تاركة وراءها زوجين محطمين في
ظلها.

أراد أن يريح عذابها المرتسم على وجهها،
لكنه لم يستطع، هو لا يصدق أنه فعلها وزنا.

خان عهده مع ربه وخانها.

_ لا بالتأكيد هذا كابوس

نطق بها كأنه ينفي لنفسه فعلته.

فأفزعها بكائها الصارخ.

لست أنا، لم أفعها قالها بهذيان كأنه يؤكد

لها أن ما رأته وهم وأرادت بكل جوارحها

تصديقه.

استجمعت نفسها ولملمت أشلائها المحطمة

أمامه.

وأدارت له ظهرها قائلة بحدة لا تقبل جدال:

طلقني.

صامتًا كان، بصره معلق بالفراغ الذي تركته

خلفها.

زار كأسد جريح، وبكى كطفل صغير مدرغًا

أخيرًا أنها لن تسامحه قط.

وكيف تفعل وهو لا يستطيع مسامحة نفسه؟

هدم المكان حوله فتناثرت قطع الزجاج أمامه

ولو هلة فكر أن يتخلص من ألمه وخزيه

بإحداها.

فأوقفه صوت المؤذن القادم من المسجد

القريب من بيته.

شهق كأنه لم يكن يتنفس وقال متوسلاً: يارب.

اغتسل وتوضأ ووقف بين يديه سألًا غفران

وعفو بحاجة إليه.

أنهى صلاته وبقي جالسًا مكانه يبكي لعل

البكاء يغسل إثمه ويريح قلبه.

بينما هي في غرفتها بمنزل أهلها، تكرر
المشهد أمام عينيها مرات ومرات، ليتها عُميت
ولم ترى ما رأت.

هكذا حدثت نفسها وهي تضع يديها على
عينيها كأنها ستمحو ما رأت.

بعد شهرين بمنزلهما.

ذهبت لتأخذ أغراضها منه، وقف أمامها مطأطأ
رأسه متمسكًا بكفها البارد يرجوها عفواً ليس
بها مقدرة عليه.

_حواء أرجوك، أعلم أنني أخطأت، ذنبي عظيم
بحقنا معا، لكن لا تتركيني، أقسم لك لن أفعالها
ثانية، تعلمين أنني أحبك وأثق أنك ما زلت
تحبيني فلا تفلتينا.

نظرت له لأول مرة بعد تلك الليلة الكالحة، دق
قلبها الخائن لمحياه، ولأن وجعها أكبر من أن
يمحا قالت ما تردده كل يوم حين يتصل بها:
طلقني.

سال دمه أثر قولها فألمت روحها وانهارت
لانهياره.

_ لم أحب امرأة سواك يومًا، أنت من تمتلكين
قلبي وروحي..

_ أعلم أنك تحبني، وأنا رغم ما فعلت لم
أكرهك، لكن... وتركت كلمتها معلقة بألم لا
يبرح فؤادها.

لكنك لا تستطيعين مسامحتي ونسيان الأمر.

أقر بها بصوت مرتجف.

ولأنها أرادت أن يغفر لنفسه ذكركه بما نسيه.

أتذكر دائما ما أخبرتك أن الرجل المحب

يمكن أن يخون مهما بلغ حبه، بينما الرجل

التقى لا يخون.

لا أعلم متى تحولنا من عباد الله إلى عباد لدى

الدنيا؟ نسعى خلف شهواتنا، أنا انشغلت بحبك،

والعمل، وبعجلة الحياة وأنت فعلت مثل ذلك

وأكثر لقد لهونا ونسينا أنفسنا وأصبحت حياتنا

كئيبه حتى وصلنا هنا، انظر لنا!

صدق قوله "ومن أعرض عن ذكري فإن له

معيشة ضنكا "

أزاح آدم دموعه ونظر لها قائلاً: يمكننا أن نبدأ
من جديد أن نحظى بحياة أفضل، فقط أعطينا
فرصة ثانية، لنغلق تلك الصفحة للأبد ونفتح
غيرها صفحة بيضاء ناصعة نخط عليها أول
حروف توبتنا وحبنا له.

لا أستطيع آدم، لا أستطيع أن أثق بك سيبقى
الشك بيننا ستصبح حياتنا جحيم، لن أستطيع
احتضانك دون أن تخنقني الدموع بحلقي وأنا
أتذكرك بأحضان أخرى، لا يمكنني المكوث بهذا
البيت، لا أستطيع حتى وإن سامحتك فأرجوك
فقط طلقني ولا تعذبني أكثر وافتح صفحتك
البيضاء وحدك وافتحها وحدي بعيداً عنك،

لعلك تقابل من تسطر به أوراقك وأقابل أنا من
ألون به صفحاتي. أرجوك فقط طلقني.

أنتِ طالق... نطق بها وهو يحتضنها فبادلته
عناقه مواسية نفسها أنه العناق الأخير بينهما

في أحد المطاعم الراقية، كانت حواء شاردة
تأخذها ذكرياتها لِماضٍ ليس ببعيد، هنا قابلته
أول مرة، صدفة عجيبة جمعتهما، حين غازلها
صديقه.

جلست حواء ورفيقتها تنتظر الوجبة

التي طلبتها، تلك المرة الأولى التي تأتي فيها
إلى هذا المطعم، فهي لا تحب صرف المال على
تلك الأماكن، لكن الأمر يستحق فالיום تخرجت
هي وصديقتها من الكلية.

لاحظت على الطاولة المقابلة لها نظرات بعض
الشباب وغمزاتهم نحوها، لكنها لم تلق لهم

بال، وتجاهلت وجودهم؛ حتى اقترب منها شاب
قائلاً بابتسامة لزجة: هل لي برقم هاتفك؟
تفاجأت من قلة حيائه وحماقته، وقبل أن تنطق
بكلمة وجدت من يدفعه بعيداً عنها يزجره
بنظراته، ثم وجه نظره إليها قائلاً: معذرة على
وقاحة زميلي أنستي

اومات برأسها مبتسمة بهدوء.

كاد أن يغادر لكن ما لبث أن عاد قائلاً بتساؤل
جاد: عذراً، انستي لكن، ما هو لون عينيك!

نظرت له ببلاهة قائلة: ها؟

تتحنح بخجل قائلاً: سامحيني لتطفي، لكن
يوجد شيء غريب بعينيك.

تذكرت كيف ظلت تلك الليلة تنظر للمرأة تبحث

عن أي شيء غريب بعينيها، لكن لم تجد،

عينيها مألوفة جدا بلونها البني المائل

للسواد، تساءلت ماذا رأى بهما؟

تمددت على سريرها وهي تفكر في آخر ما قاله

: المكان هنا رائع ويقدم أفضل الأطباق، أرجو

أن يكون مكانك المفضل.

واعتذر مرة أخرى وغادر.

وكان له ما أراد، كانت تأتي كل عطلة لتتناول

طعمها بهذا المطعم، بالطبع ليس لأنه دائما ما

كان متواجدا، كلما أتت رآته يبتسم لها، حتى

تفاجأت به في بيتها يطلب يدها للزواج،

وعندما اختلى بها قليلا، أول ما قاله: لمَ لم تأت

العطلة الماضية، لقد قلقت عليك

ابتسمت بخجل قائلة: كنت أريد أن أعرف ماذا
ستفعل؟

سالت دمة ساخنة على وجنتيها وهي تتذكر
تحطم زواجهما.

أفاقت على صوتٍ تعرفه جيدا

كفي عن البكاء فأنا لا أستطيع منع نفسي من
تقبيل موضع دمعك.

نظرت له بصدمة، فرحة من داخلها كونه هنا
بعد كل هذا الوقت، ما زال يتذكر هذا اليوم،
يوم التقيا.

بصوت عميق شجن أوضح مدى معاناته
ولوعة الفراق التي نالت منه مبلغها قال:
اشتقت لك حواء.

اضطربت من رؤيته بعد ثلاث سنوات، نعم لم
تستطع الارتباط بغيره، ما زالت تهوى عشقه.
لكنها لم تعرف ماذا تقول أو ماذا تفعل؟ فهربت
مغادرة تاركَةً ورائها قلب ينبض بجنون
عشقها وابتسامة عازمة على وجه صاحبها
الذي تيقن من أن حبها له خالدًا بقلبها.

بعد يومين

_أمي أخبرتك مئة مرة أنني لن أتزوج مرة
أخرى قالتها حواء بغضب نظرًا لإلحاح والدتها
عليها بشأن العريس المتقدم لخطبتها

لكن أمها قالت بحزم: ستقابلينه حواء.

دلفت للغرفة حيث ينتظرها وجلست دون النظر
له.

زادت نبضات قلبها بجنون وهي تسمع صوت
ضحكاته

آدم بابتسامة عاشقة ونبرة هادئة: حواء
رفعت عينيها تتأكد من وجوده أمامها ثم سريعاً
ما قالت إجابة لأسئلة عينيه: موافقة
ولم تصدق كم كانت روحها تهفو لروحه.
زادت ضحكته ثم تحولت لابتسامة دافئة حين
دلف المأذون وتم عقد القران من جديد.

